

بسم الله الرحمن الرحيم المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
أما بعد:

فإن الإنسان يمتاز بأنه يعمن النظر والتأمل في الأشياء الحسية والمعنوية، من أجل الوصول إلى حقيقتها. ويغلب أن يطلق على عملية إمعان النظر اسم (التفكر)، وعلى نتاج هذه العملية اسم (الفكر)^(١). فالفكر هو الشيء الذي يميز الإنسان، وما قامت الحضارات إلا على الأفكار، وما حدثت الأحداث الجسام إلا انطلاقاً من فكرة، استقرت في الذهن حتى أصبحت عقيدة ثابتة، ثم حولها أصحابها إلى ممارسة على أرض الواقع. فالفكر كالخارطة التي توضع للبناء، والتي تحدد أبعاده، وغرفه، وما إلى ذلك، ثم يأتي العمل وفقاً لهذه الخطة.

ويُعد الفكر أحد الأعمدة الثلاثة التي تقوم عليها المجتمعات وهي: عالم الأفكار، وعالم الأشياء، وعالم الأشخاص. فالمجتمعات تقوم طبقاً لنموذج حدده عالم الأفكار، ويتم تنفيذه بوسائل من عالم الأشياء، من أجل غاية يحددها عالم الأشخاص^(٢). ونظراً لهذه الأهمية القصوى للفكر، جاء تأكيد القرآن الكريم على ضرورة التفكير بآيات قرآنية كثيرة، فأكتسب الفكر أهمية إضافية، فالإنسان المسلم يهتم بالفكر انطلاقاً من كونه ضرورة من ضرورياته كإنسان، وانطلاقاً من كونه واجباً من واجباته كمسلم.

وفي وقتنا الحاضر تبرز أهمية الفكر بشكل كبير جداً، إذ تقوم اقتصادات عالمية على نظرية فكرية، وتدار حروب، عالمية هي الأخرى، انطلاقاً من تأصيل

(١) ينظر: دراسات في الفكر الإسلامي، بسام جرار، ص ١٥.

(٢) ينظر: ميلاد مجتمع، مالك بن نبي، ص ٢٣، ٢٤.

فكري. فكان لزاماً علينا نحن المسلمين أن ندلو بدلونا في عالم الأفكار هذا، لاسيما وقد أكرمنا الله سبحانه وتعالى بالفكر الحق، الفكر الإسلامي الذي ينطلق من الإسلام دين الفطرة والتوحيد، وخاصة وخصوصاً بعد أن داهمتنا بعض الأفكار في عقر دارنا، وتبناها بعض المسلمين، وهي في كثير من الأحيان تستمد أفكارها من نظريات فلسفية غربية معادية للدين، ورغم ذلك تجد قبولاً، أو على الأقل عدم معارضة لدى كثير من المسلمين، وذلك لأنها غالباً ما تنطلق من الأوضاع السيئة التي يعيشها أغلب المسلمين، فيحصل اختلاط كبير بين ما هو حق، وما هو باطل، وبين من يدعو للإسلام ومن يدعو ضد الإسلام. وهنا لابد أن يبرز دور المفكر الإسلامي ليسلط الضوء على تلك الأماكن المظلمة التي تختلط في فهمها وتحديد الموقف منها عقول كثير من المسلمين، فينيرها بأنوار المنهج الإسلامي الذي ينطلق من ثوابت الإسلام.

ومن تلك الأفكار التي انتشرت في عالمنا الإسلامي، فكر الحداثة، الذي هو - كما سيتبين من خلال البحث - فكر شمولي له نظريته للكون والإنسان والحياة، ولكن المشكلة هي أن كثيراً ممن تبنا هذا الفكر لا يدعوا إليه صراحة، أو لا يدعوا إليه بشكل كامل، بل ينتقد كثيراً من الأوضاع السيئة في المجتمع، ويقترح لها حلولاً، ويكون منطلقه في كل ذلك هو الفكر الحداثي، مما يضيف ضبابية على هذا الفكر وعلى تفاصيله. ومما زاد الأمر غموضاً وتعقيداً، هو أن كثيراً ممن تكلم في هذا الفكر - الحداثة - يكون إما محب غالي أو مبغض قائل، فهو إما أن يدعوا للحداثة بشكل كامل ومطلق، وإما أن يعتبر هذا الفكر بجميع تفاصيله كفرة، ودعائه كلهم خونة مأجورون!

ولهذا أصبح الكثير من الناس في حيرة من أمرهم في مسألة الحداثة، فلا يعرفون لها شكلاً، ولا وصفاً، ولا حقاً، ولا باطلاً. ومن هنا جاءت أهمية دراسة الفكر الحداثي،

في ضوء الفكر الإسلامي، لإيضاح حقيقتها، وجذورها، وأفكارها وكل ما يتعلق بها، بطريقة علمية مجردة عن الأحكام المسبقة.

ومن ثم، ارتأيت أن يكون بحثي لنيل درجة الماجستير بعنوان:
(الحدث في الفكر الإسلامي سلبياتها وإيجابياتها)، محاولاً بذلك أن أسلط شيئاً من الضوء على هذا الفكر، الذي يعتبره الكثير من الناس غامضاً.
ومما سبق ذكره تتبين أهمية الموضوع وسبب اختياره، ومع هذا، فبالإمكان تلخيص أهمية الموضوع، وسبب اختياره في النقاط التالية:-

- ١- كون هذا الفكر الحداثي فكر شمولي له نظرتة الخاصة في جميع الأشياء، فالبحث فيه أمرٌ يهم الجميع: السياسي، والاقتصادي، والاجتماعي... الخ.
- ٢- عدم معرفة كثير من الناس، بل حتى كثير من المثقفين لحقيقة الحدث، ولاسيما في بلدنا (العراق)، لما كانت تعيشه البلاد من حصار مفروض عليها، وانعدام كثير من وسائل الاتصال، كالانترنت مثلاً.
- ٣- غموض الفكر الحداثي نفسه، لأسباب كثيرة، منها ما يرجع لطبيعته، ومنها ما يرجع لأمرٍ خارج عنه. بل تسبب بشيء من ذلك الغموض بعض دعائته، خاصة أنهم سلكوا طريق الأدب والفن في نشر الفكر الحداثي، مما جعل الاعتقاد السائد لدى الكثيرين، أن الحدث مذهب أدبي لا علاقة له بالأفكار والعقائد، فكان هذا سبباً مهماً دفعني لدراسة هذا الفكر بطريقة فكرية إسلامية.
- ٤- هيمنة الفكر الحداثي على وسائل الإعلام، سواءً المقررة، أم المسموعة، أم المرئية. فتكون الكتابة في هذا الموضوع فيها شيء . ولو قليل . من التوازن الإعلامي.

- ٥- أن أكثر ما هو مكتوب في هذا الفكر ينطلق من أحكام مسبقة، سلبية أو إيجابية، فتكون الكتابة مجرد تأكيد وترسيخ لما يحمله كتابها من أحكام مسبقة،

ومطلقة عن الحادثة، فتكون بشكل عام مجانية للأُنصاف والمنهج العلمي. وهذا ما يستلزم إيجاد كتابات تراعي هذا الجانب.

٦- اختفاء الكثير من الدعوات والنظريات الفكرية تحت الفكر الحداثي، مستغلة ما تتادي به الحادثة من شعارات عامة، ومطاطة، كالحرية، والعقلانية، وحقوق الإنسان.... الخ.

ولكن الطريق لهذا البحث لم تكن معبدة، ولا مليئة بالورود كما يقال، فقد واجهت الكثير من المتاعب أثناء بحثي في هذا الموضوع، كان من أهمها: قلة المصادر المتداولة عندنا في هذا الموضوع. فالغالبية العظمى من المصادر قد حصلت عليها عن طريق تحميلها من الانترنت، لعدم توفرها في المكتبات. وتحميلها من الانترنت ينطوي على صعوبات جمة، وذلك لكثرة تقطعاته، وكذلك ضعفه عن تحميل تلك الكتب، لاسيما الكبيرة منها. وهناك صعوبة أخرى، هي أن الكثير من المصادر، أو ما أتصور أنها مصادر، لأنها تحمل اسم (الحادثة) أو ما يتعلق بها، خاصة أنني لا أستطيع الاطلاع عليها إلا بعد تحميلها من الانترنت، أفاجأ بأنها تتكلم في وادٍ آخر، ولا علاقة لها بموضوع البحث.

ولكن، رغم تلك الصعوبات، وبفضل الله سبحانه تعالى، فقد وضعت خطة لهذا البحث (الحادثة في الفكر الإسلامي سلبياتها وإيجابياتها) قسمتها بعد هذه المقدمة على ثلاثة فصول، وخاتمة. وتفصيل ذلك على الشكل الآتي:

- المقدمة: وتشتمل على: التعريف بالموضوع بشكل عام، وبيان أهميته وسبب اختياره، والمشاكل التي واجهت الباحث في هذا الموضوع، وخطة البحث، والمنهج المتبع فيه.
- الفصل الأول: وأتحدث فيه عن مفهوم الحادثة، ونشأتها، وما يتعلق بذلك، ويشتمل على أربعة مباحث:

المبحث الأول: مفهوم الحادثة وتعريفها.

المبحث الثاني: نشأتها وجذورها التاريخية.

المبحث الثالث: الحادثة بين الفكر والأدب.

المبحث الرابع: أبرز حاملي هذا الفكر.

- الفصل الثاني: أناقش فيه أبرز الملامح الفكرية للفكر الحداثي، ويشتمل على

أربعة مباحث:

المبحث الأول: تقديس العقل.

المبحث الثاني: الحرية.

المبحث الثالث: الصراع بين القديم والجديد.

المبحث الرابع: ضرورة التحول والتطور.

- الفصل الثالث: أناقش فيه الواقع الفكري للحادثة في المجتمع الإسلامي، ويشتمل

على أربعة مباحث:

المبحث الأول: علاقة الفكر الحداثي بالفكر الإسلامي.

المبحث الثاني: أسباب وطرق انتشار الفكر الحداثي.

المبحث الثالث: آثار الفكر الحداثي على المجتمع الإسلامي.

المبحث الرابع: كيفية التعامل مع الفكر الحداثي.

- الخاتمة: وأذكر فيها أهم النتائج التي توصلت إليها من خلال البحث.

وقد أتبعته في هذا البحث منهجاً أخصه في النقاط التالية:

١- التسلسل الذي أتبعته في ذكر الآراء هو أنني أثبت رأي الحداثيين في المسألة

التي أناقشها في البداية، ثم أتبعه بموقف الفكر الإسلامي من هذه المسألة،

والتعليق عليها ببيان السلبيات والإيجابيات، إن وجدت.

٢- اعتمدت في بيان آراء الحداثيين في المسألة التي أناقشها أقوال كبار دعاة ومنظري الحداثة، وربما ذكرت في المسألة الواحدة أكثر من نص لشخصية واحدة أو أكثر، تأكيداً وتثبيتاً لرأيهم في تلك المسألة، لأن التباين في الآراء، أو التعارض، أو إنكار بعض الأفكار، أمر وارد جداً بين الحداثيين، بل حتى عند المفكر الواحد منهم، فلذلك أكثرت من الاستشهاد بأقوالهم.

٣- حاولت جهدي أن يكون ذكر وبيان آراء الحداثيين في المسائل التي أناقشها، ورأي الفكر الإسلامي فيها، والتعليق عليها، بشكل علمي، بعيداً عن العاطفة ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

٤- حاولت أن أوجز وأختصر قدر المستطاع، وأن لا أخرج عن الموضوع إلا على قدر الحاجة، إذ أن هذا الاختصار ضروري بالنسبة للمواضيع التي أناقشها، لأن منها مفردات ألفت فيها كتب كثيرة، وما يزال يؤلف، كالحرية مثلاً فلو استطردت فيها، لخرجت عن الموضوع، وقديماً قيل: خير الكلام ما قلّ ودلّ.

٥- حرصت على الترجمة لأغلب الشخصيات المذكورة في البحث، إلا من لم أجد له ترجمة، خصوصاً أن منها شخصيات حديثة ومعاصرة. وكانت ترجمتي لهذه الشخصيات تكون عندما أذكر هذه الشخصية في ثنايا كلامي يتعلق بها.

٦- حرصت على التعريف بالمصطلحات الواردة في هذا البحث، لاسيما وأن كثير من النصوص المنقولة عن الحداثيين تتضمن مصطلحات غريبة، وغريبة في نفس الوقت.

٧- قمت بعزو النصوص المقتبسة إلى مصادرها في الهامش، مكتفياً بذكر أسم الكتاب، والجزء. إن وجد. والصفحة، وذكر أسم المؤلف عند ذكر المصدر للمرة الأولى، أما المعلومات الكاملة عن المصدر فقد ذكرتها في ثبت المصادر والمراجع، تحاشياً لإثقال الهوامش.

٨- ذكرت في ثبت المصادر والمراجع ما وجدته من معلومات في المصدر، فربما ذكرت مصدراً مع أسم مؤلفه، وتاريخ طبعه، ورقم الطبعة، ومكانها، لكنني لم أجد دار النشر مثلاً. فبشكل عام قد أثبت ما وجدت من معلومات.

وفي ختام هذه المقدمة، وانطلاقاً من قوله عليه الصلاة والسلام: ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))^(٣)، لا يفوتني أن أتقدم بالشكر والعرفان والامتنان، لهذه الكلية المباركة، كلية الأمام الأعظم، والقائمين عليها، والعاملين فيها، التي أتاحت لي ولطلاب العلم أن نسلك هذا الطريق الذي نلتبس فيه علماً، فنسأل الله تعالى أن يسهل لنا ولهم طريقاً إلى الجنة.

كما أخص بالشكر شيعي، وأستاذي، المشرف الدكتور (سليم ياسين الهيتي)، الذي لم يأل جهداً في نصحي وإرشادي وتوجيهي، إلى كل ما من شأنه الرفع من مستوى هذا البحث، وإخراجه على الوجه الأكمل.

كما وأشكر كل من أسدى إلي معروفاً، أو قدم لي عوناً في سبيل إخراج هذا البحث. فأقول للجميع: جزاكم الله خيراً.

وأخيراً أقول: إن هذا جهد المقل، وما كان فيه من صواب فمن توفيق الله سبحانه وتعالى، وما كان فيه من خطأ فمني. وأستغفر الله تعالى منه، وأسأله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينفع به. آمين.

(٣) أخرجه الترمذي برقم (١٩٥٤)، ٣٣٩/٤، وقال: حديث حسن صحيح.